حجة الوداع

قال ابن إسحاق[١]:

فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة من سنة عشر تجهز للحج، وأمر الناس بالجهاز له، وخرج لخمس ليال بقين من ذي القعدة فيما حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن عائشة.

قال ابن هشام[٢]: واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، وقيل: سباع بن عرفطة الغفاري.

قال أبو عمر[٣]:

ما كان في كتابنا هذا عن ابن إسحاق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان، عن قاسم بن أصبغ، عن محمد بن عبد السلام الخشني، عن محمد بن البرقي، عن ابن هشام، عن زياد البكائي، عن محمد بن إسحاق، وقراءة مني أيضاً على عبد الله بن محمد ابن يوسف، عن ابن مفرج، عن ابن الأعرابي، عن العطاردي، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: وقراءة مني أيضاً على عبد الوارث بن سفيان، عن قاسم بن أصبغ، عن عبيد ابن عبد الواحد البزار، عن أحمد بن محمد بن أيوب، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق. وما كان فيه عن موسى بن عقبة فقرأته على عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد، عن قاسم، عن مطرف بن عبد الرحمن بن قيس، عن يعقوب عن ابن فليح، عن موسى بن عقبة. ولي في ذلك روايات وأسانيد مذكورة في صدر كتاب الصحابة. وفي الفهرسة روايتنا لكتاب الواقدي وغيره تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره. وفي كتاب أبي بكر بن أبي خيثمة روايتي له عن عبد الوارث عن قاسم عنه من ذلك أطراف، والله المحمود على عونه وفضله كثيراً كما هو أهله.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٦ / ٥).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٦ / ٥).

(٣) هذه الفقرة مقحمة على حجة الوداع، وكأن ابن عبد البر أحس أنه أنهى حديثه عن المغازي ورأى أن يذكر طرق روايته لها عن ابن إسحاق وموسى بن عقبة، وكتاباهما في المغازي أساس ما بأيدي الناس منها، وهو يصرح هنا بأنه اعتمد على كتاب المغازي للواقدي، وأنه نقل أطرافا من كتاب ابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن حرب في السيرة والمغازي.

قال الفقيه أبو عمر رحمه الله: قال جماعة من أهل العلم بالسير والأثر أن رسول الله، ﷺ، لم يحج في الإسلام إلا ثلاث حجات: اثنتين بمكة. وواحدة بعد فرض الحج عليه من المدينة(١).

حديث جابر في حجة الوداع

وأحسن حديث في الحج وأتمه حديث جابر، حدثناه أحمد بن سعيد بن بشر وأحمد ابن قاسم بن عبد الرحمن، قالا: حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي دليم، قال: حدثنا محمد بن وضاح، قال: حدثنا محمد بن مسعود، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي، قال: أتينا جابر بن عبد الله، وهو في بني سلمة، فسألناه عن حجة رسول الله ﷺ، فحدثنا(٢):

أن رسول الله ﷺ، مكث بالمدينة تسع سنين، ثم أذن في الناس أن رسول الله حاج العام، فنزل بالمدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ويفعل ما يفعل. فخرج رسول الله ﷺ، لخمس بقين من ذي القعدة وخرجنا معه، حتى أتى ذا الحليفة ونفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**اغتسلي واستثفري بثوب، ثم أهلي**». فخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أهل بالتوحيد: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك، لا شريك لك**». قال: ولبى الناس والناس يزيدون: ذا المعارج ونحوه من الكلام، ورسول الله ﷺ يسمع ولا يقول لهم شيئاً. فنظرت مد بصري بين يدي رسول الله، من راكب وماش، ومن خلفه مثل ذلك، وعن يمينه مثل ذلك، وعن شماله مثل ذلك. قال جابر: ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ينزل عليه القرآن، وهو يعلم تأويله، وما عمل به من شيء عملنا. فخرجنا لا ننوي إلا الحج حتى أتينا الكعبة، فاستلم رسول الله ﷺ الحجر الأسود، ثم رمل ثلاثاً ومشى أربعاً. حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ: ﴿ واتَّخذوا من مقام إبراهيم مصلًى ﴾[البقرة: ١٢٥] . قال جعفر: قال أبي: فقرأ فيهما بالتوحيد: ﴿ قُلْ هُو اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص: ١] و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[الكافرون: ١] ثم استلم الحجر الأسود ثم خرج إلى الصفا فقال: «**نبدأ بما بدأ الله به**» وقرأ: ﴿ إن

(١) عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر.
رواه الترمذي (٨١٥)، وابن خزيمة (٣٠٥٦)، والحاكم في المستدرك (١ / ٦٤٢).

(٢) أخرجه بهذا الإسناد أحمد في مسنده (١٤٤٨٠).

الصفا والمروة من شعائر الله ﴿[البقرة:١٥٨] . ورقى على الصفا حتى إذا نظر إلى البيت كبر ثم قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، وصدق عبده وغلب** ـ أو قال: **هزم ـ الأحزاب وحده**»، ثم دعا ثم رجع إلى هذا الكلام، ثم دعا، ثم رجع إلى هذا الكلام، ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه في الوادي سعى حتى صعد مشياً حتى أتى المروة فرقى عليها. حتى إذا نظر إلى البيت قال عليها كما قال على الصفا. فلما كان السابع بالمروة قال: «**يا أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرةً**»، فمن لم يكن معه هدى فليحل وليجعلها عمرةً، فحل الناس كلهم وقال سراقة بن جعشم، وهو في أسفل المروة: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ بين أصابعه، ثم قال: «**للأبد بل لأبد الأبد**»، ثلاث مرات، وقال: «**دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**». وقدم علي رضي الله عنه من اليمن وقدم معه بهدي، وساق رسول الله ﷺ معه هدياً من المدينة، فإذا فاطمة قد حلت ولبست ثياباً صابغة واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، قالت: أمرني أبي قال علي بالكوفة، لم يذكره جابر: فانطلقت محرشاً أستفتي رسول الله ﷺ في الذي ذكرت فاطمة. قال: قلت :إن فاطمة لبست ثياباً صابغة واكتحلت، وقالت: أمرني أبي، قال: «**صدقت، صدقت، أنا أمرتها**». قال جابر: فقال لعلي:«**بم أهللت ؟**» قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال عليه السلام: «**فإن معي الهدى فلا تحل بحال**». وكان جماعة الهدى الذي أتى به رسول الله ﷺ من المدينة والذي أتى به علي مائةً. فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثاً وستين، وأعطى علياً فنحر ما غبر وأشركه في هديه. ثم أمر رسول الله ﷺ من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، وقال رسول الله ﷺ: «**قد نحرت ههنا، ومنى كلها منحر**»، ووقف بعرفة وقال: «**وقفت ههنا، وعرفة كلها موقف**». ثم أتى المزدلفة فقال: «**وقفت ههنا، ومزدلفة كلها موقف**».

أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: حدثني محمد بن بكر، قال: حدثنا سليمان بن الأشعث أبو داود، قال: حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي وعثمان بن أبي شيبة وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن، وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة وقالوا: حدثنا حاتم ابن إسماعيل وحدثنا سعيد بن نصر، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا محمد وضاح، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل. وحدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا محمد بن سعيد الأصفهاني وهارون بن معروف، قالا: حدثنا حاتم بن إسماعيل. وبعضهم

يزيد على بعض الكلمة والكلمتين والمعنى واحد. قال: حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه(١)، قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، وهو يومئذ قد ذهب بصره، فسأل عن القوم حتى انتهى إلي، فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين بن علي، وأنا يومئذ غلام شاب، فرحب وسهل، ودعا لي. فقالوا: جئنا نسألك فقال لي: سل عما شئت يا بن أخي، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ فعقد تسعاً ثم قال:

إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله. فخرجنا معه، حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع ؟ قال: **«اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي»**. وصلى رسول الله ﷺ، في المسجد، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه ويساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله، فما عمل به من شيء عملنا به. فأهل بالتوحيد: **«لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»**. وأهل الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته، قال جابر: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: ﴿واتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة:١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت. قال جعفر: فكان أبي يقول ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ إنه كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون :١] ثم رجع إلى الركن فاستلمه. ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[البقرة:١٥٨] **«نبدأ بما بدأ الله به»**، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، ووحد الله وكبره، وقال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»**. ثم دعا بين ذلك، وقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه رمل في بطن الوادي، حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة. ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان في آخر طواف على المروة قال: **« لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس**

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨ / ١٤٧)، وأبو داود (١٩٠٥).

معه هدى فليحل وليجعلها عمرة»، فحل الناس كلهم إلا النبي عليه السلام ومن كان معه هدى. فقال سراقة بن جعشم: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ بين أصابعه ثم قال: «**دخلت العمرة في الحج**»، مرتين، «**لا بل لأبد الأبد**». قال: وقدم علي من اليمن ببدن إلى النبي ﷺ، فوجد فاطمة ممن حل، ولبست ثياباً صبيغاً، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: أبي أمرني بهذا. فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشاً على فاطمة، للذي صنعت، مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، وأخبرته أني أنكرت ذلك عليها، فقال: «**صدقت صدقت**». ثم قال: ماذا قلت حين فرضت الحج، قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال: «**فإن معي الهدى فلا تحل**». قال: فكان جماعة الهدى الذي قدم به عليٌّ من اليمن والذي أتى به رسول الله ﷺ من المدينة مائة. قال: فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي عليه السلام ومن كان معه هدي. فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منىً، فأهلوا بالحج. وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح. ثم مكث قليلاً، حتى طلعت الشمس. وأمر بقبة من شَعَرٍ تضرب له بنمرة. فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له. فأتى بطن الوادي، فخطب الناس فقال: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضعه من دمائنا دم ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، واتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن بكم ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده أبداً إن اعتصمتم به: كتاب الله. وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويشير إلى الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد**»، ثلاث مرات. ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً. ثم ركب حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً

حين غاب القرص، وأردف أسامة بن زيد خلفه، ودفع وقد شنق القصواء، حتى إن رأسها ليصب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: «**أيها الناس السكينة السكينة**»، كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً. ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح. بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا الله وكبره وهلله ووحده. ولم يزل واقفاً، حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلاً أبيض حسن الشعر وسيماً فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به الظعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر. حتى أتى مُحَسِّراً، فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج إلى ما يلي الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها حصا مثل حصا الحذف رماها من بطن الوادي. ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى علياً، فنحر ما غبر، وأشركه في هديه. ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم ركب رسول الله ﷺ إلى البيت فأفاض، وصلى بمكة الظهر وأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم، فقال: «**انزعوا يا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**» وناولوه دلواً فشرب منه ﷺ.

باب ذكر وفاة النبي ﷺ

روى وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن ابن أبي رُزين، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ السورة كلها، علم النبي عليه السلام أنه قد نعيت إليه نفسه[١].

وسأل عمر ابن عباس عن هذه السورة، فقال: يقول له: اعلم أنك ستموت عند ذلك، فقال عمر: لله درك يا بن عباس، إعجاباً بقوله. وقد كان سأل عنها غيره من كبار الصحابة فلم يقولوا ذلك.

ثم لما دنت وفاته أخذه وجعه في بيت ميمونة، فخرج إلى أهل أحد، فصلى عليهم صلاته علىٰ الميت[٢].

وكان أول ما يشكو في علته الصداع، فيقول: «**وا رأساه**» ثم لما اشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة، فأذن له في ذلك، فمرض في بيت عائشة إلى أن مات فيه ﷺ، وكان يقول في مرضه ذلك لعائشة: «**ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر، ما زالت تلك الأكلة[٣] تعاودني، فهذا أوان قطعت أبهري**».

وأغمي عليه فظنوا أن به ذات الجنب فلدوه[٤]، وكان العباس الذي أشار بذلك، فلما أفاق أنكر ذلك عليهم، وأمر بالقصاص في ذلك منهم، واستثنى العباس برأيه فلد كل من حضر في البيت إلا العباس[٥].

وأوصاهم في مرضه بثلاث: أن يجيزوا[٦] الوفد بنحو مما كان يجيزهم به وأن لا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١ ٣٢٠)، والبخاري (٣٦٢٧، ٤٤٣٠، ٤٩٦٩، ٤٩٧٠)، والترمذي (٣٣٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٣٨)، والبخاري (١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦ / ٣٠).

(٣) يشير إلي الشاة المشوية التي أطعمتها إياه امرأة سلام بن مشكم في غزوة خيبر.

(٤) لدوه من اللد، وهو وضع الدواء في شق الفم.

(٥) جاء في البخاري (٦٨٩٧)، أن العباس رضي الله عنه لم يشهدهم وهم يلدون النبي ﷺ، حيث قال ﷺ: «**لا يبقى منكم أحد إلا لد وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم**».

(٦) أن يجيزوا: أن يعطوا من الجائزة، وهي العطية.

يتركوا في جزيرة العرب دينين، قال: «**أخرجوا منها المشركين**»(١). «**والله الله في الصلاة، وما ملكت أيمانكم فأحسنوا إليهم**». وقال: «**لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٢).

وقال لهم: «**هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبداً**». فاختلفوا وتنازعوا واختصموا، فقال: «**قوموا عني، فإنه لا ينبغي عندي تنازع**». وكان عمر القائل حينئذ: قد غلب عليه وجعه، وربما صح، وعندكم القرآن. فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم(٣).

وسارَّ فاطمة ﷺ في مرضه ذلك، فقال لها: بأن جبريل كان يعرض علي القرآن كل عام مرةً وأنه عرضه علي العام مرتين، وما أظن إلا أني ميت من مرضي هذا، فبكت، فقال لها: «**ما يسرك أنك سيدة نساء أهل الجنة ما عدا مريم بنت عمران**»(٤)، فضحكت.

وكان يقول في صحته: «**ما يموت نبي حتى يخير ويرى مقعده**»(٥). روته عائشة. قالت: فلما اشتد مرضه جعل يقول: «**مع الرفيق الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**»(٦).

وقال حين عجز عن الخروج إلى المسجد: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»(٧). وخرج

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٨٤)، والبخاري (٤٣٦) ومسلم (٥٣١ / ٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٣٥)، والبخاري (١١٤، ٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧ / ٢٠، ٢١).
قال ابن حزم في جوامع السيرة (ص٢٠٨): لا شك في أنه لو كان هذا الكتاب من واجبات الدين ولوازم الشريعة لم يثنه عنه كلام عمر ولا غيره، واستظهر ابن حزم أن يكون الكتاب الذي أراد الرسول كتابته هو استخلافه لأبي بكر لقوله لعائشة: لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فاكتب كتابا وأعهد عهدا لئلا يتمنى متمن أو يقول قائل، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.
وفي كلام ابن حزم السابق رد على الرافضة ـ قبحهم الله ـ الذي يطعنون في عمر ﷺ بقوله هذا، بأنه لم يستجب لأمر النبي ﷺ وهم ـ قبحهم الله ـ لا يطعنون في عمر ﷺ بل يطعنون في رسول الله ﷺ بأنه كان ضعيفا أمام عمر، وأن إرادة عمر غلبت إرادة النبي ﷺ، فقبح الله كل من يقول مثل هذا الكلام، أو يعتقد مثل هذا المعتقد.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٠٧٤)، والبخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠ / ٩٧، ٩٨).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٦٢٧)، والبخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٢٤٤٤ / ٨٧).

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤ / ٨٥)..

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٦٩١)، والبخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨ / ٩٤)، والترمذي =

يوماً من أيام مرضه إلى المسجد تخط رجلاه في الأرض، يحمله رجلان أحدهما علي والآخر العباس، وقيل الفضل بن عباس.

وقال في مرضه: «**هريقوا علي من سبع قرب لم تُحْلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس**»(١) فأجلس في مخضب لحفصة، ثم صب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير بيده أن حسبكم. ثم خرج إلى الناس فصلى بهم. وقد أوضحنا معاني صلاته في مرضه بالناس مع أبي بكر ومكان المقدم منهما وما يصح في ذلك عندنا في كتاب التمهيد، وبالله توفيقنا.

وأصبح الناس يوما يسألون عليا والعباس عن حال رسول الله ﷺ، وقد اشتدت به الحال، فقال علي: أصبح بخير، فقال العباس: ما الذي تقول ؟ والله لقد رأيت في وجهه من الموت ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب، ثم قال له: يا علي اذهب بنا نسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده. فكره علي ذلك، فلم يسألاه، واشتد به المرض فجعل يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات، الرفيق الأعلى**» فلم يزل يقولها حتى مات.

ومات ﷺ يوم الاثنين بلا اختلاف، قيل: في وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحى في صدر ربيع الأول سنة إحدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة ودفن يوم الثلاثاء، وقيل: بل دفن ليلة الأربعاء ولم يحضر غسله ولا تكفينه إلا أهل بيته، غسله علي، وكان الفضل بن عباس يصب عليه الماء، والعباس يعينهم وحضرهم شقران مولاه. وقد ذكرنا في صدر كتاب الصحابة سؤاله في هذا المعنى.

ولم يصدق عمر بموته، وأنكر على من قال: مات، وخرج إلى المسجد، فخطب وقال في خطبته: إن المنافقين يقولون: إن رسول الله ﷺ توفي. والله ما مات رسول الله ﷺ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى عليه السلام، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم، والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، زعموا أن رسول الله مات.

ويأتي أبو بكر بيت رسول الله ﷺ فكشف له عن وجهه ﷺ، فقبله، وأيقن بموته، ثم خرج فوجد عمر ﷺ يقول تلك المقالة، فقال له: اجلس، فأبى عمر، فقال له: اجلس، فأبى فتنحى عنه، وقام خطيباً، فانصرف الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر

=(٣٦٧٢)، والنسائي (٨٣٣)، وابن ماجه (١٢٣٢).

(١) أخرجه البخاري (١٩٨).

ﷺ : أما بعد فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤] ، قال عمر ﷺ : فلما سمعتها من أبي بكر عرفت ما وقعت فيه، وكأني لم أسمعها قبل.

ثم اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة، فبايعوا أبا بكر ﷺ أجمعين، ثم بايعوه بيعة أخرى من الغد على ملأ منهم ورضا، فكشف الله به الكربة من أهل الردة، وقام به الدين، والحمد لله رب العالمين.

كمل كتاب الدرر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

obeikandl.com